

أبرز الأحداث الثقافية في فرنسا خلال العام 2019

فنون التشكيل والمسرح والاحتفاء بدافنشي والسجال الفكري



زيغوندا باومان يحلل طوباوية الردة

نفسها، التي لم تحظ بما حظيت به رواية الكاتبة البلجيكية. وأما العمل الثاني الذي استأثر بصوره، فهو الرواية السابعة للفرنسي ميشيل هوبليك، الذي يرى فيه النقد المستقبلي، رغم أن عوالمه سوداوية على الدوام، وأبطاله، مثله، يعيشون على حافة الانهيار العصبي، وأجهضت الليبرالية المنتصرة أحلامهم، وأخذت شغلة الحب في صدورهم، وتكسرت آمالهم على صخرة الصمت الرباني.

استنادا إلى دروس التاريخ في شموليته، يعتقد بيكيتي أن في الإمكان أن نقطع مع تلك الحتمية التي كانت سببا في الانحرافات الهوائية الحالية، لوضع اشتراكية تشاركية للقرن الحادي والعشرين

ولا تختلف روايته الجديدة "سيروتونين" عن سابقتها، فبطلها فلوران كلود لابروست يحمل نفس الرؤية الإنهزامية، وهو يرى هوة الجزع الوجودي تفتتح تحت قدميه، ويسكنه الاكتئاب الشبيه بذلك الملل الذي يصيب الرهبان فبعافون العبادة، ويتأبه إحساس بأن عمره، وهو لم يتعد السادسة والأربعين، يمضي إلى نهايته، فيكون مثل حيوان مصاب ببحث عن ملاذ آمن ينهي فيه حياته، يهجر بيته وعشيقته اليابانية ويلوذ بشقة عابسة ليعيش على حبوب كابوتوريكس، المركبة أساسا من مادة ال"سيروتونين" كي يغالب الانهيار العصبي الذي ألمّ به. عندما يبلغ هذا الحد من التشاؤم يشرع في سرد اعترافاته، فنعلم أنه موظف بوزارة الفلاحة، يعد لها مذكرات وتقارير يستعين به كبار المسؤولين في المفوضات الأوروبية، يشرب بشراهة، ويدخن لحمة، وبالظلمة الشديد قبل الموت؛ بل ناقشت ما تتصور أنه اعتل بذهنه في تلك اللحظة وهو يتوجه إلى "أبيه الذي في السماوات" بلوم غير خاف "هذا الضئيل زلة... لم فعلت هذا؟... هل قلتُ إنني لا أحبك؟... أنا أعانك، أنا مستاء منك. الحب يسمح بمثل هذه المشاعر. ماذا تعرف عن الحب؟ هنا المشكلة، أنت لا تعرف الحب. الحب كحكاية. لا بد من جسد كي يرويها".

وأما ما تكن دوافع غونكور، فقد استبدعت نوتوم من الفون، وأسندت جائزتها إلى جان بول دوبوا عن روايته "كل الرجال لا يستوطنون العالم بالطريقة

هو مصيرها ومصير كوكبها، وهي أزمة عالمية تجد جذورها في براديجم حضاري بني على الفردانية والجشع والتنافس والاستهلاك المفرط والإقصاء الاجتماعي. ورغم اعتراف الجميع بإسهامه في إجراء حقل علم الاجتماع، بعد التحفظ الذي واجهه به زملاؤه سعيه إلى الربط

القرن الحادي والعشرين" الذي بيع منه نحو مليونين ونصف مليون نسخة، عاد إلى الصدارة هذا العام بكتاب جديد عنوانه "راس المال والأيدولوجيا" يدعو فيه هو أيضا إلى إعادة النظر في الكوسموبوليتية الجديدة التي ولدتها التفاوت والبحث في جذور التفاوت الاجتماعي والاقتصادي، ويبين كيف أن المجتمعات البشرية تحتاج إلى تدبير التفاوت الذي ينظمها، وتوفر أسبابه لمنع انهيار البناء السياسي والاجتماعي. في هذا الكتاب، الذي يمسح 1232 صفحة، سعى بيكيتي إلى تتبع المسار الاقتصادي والاجتماعي والفكري والسياسي الذي عرفته الأنظمة التي أقرت الاسترقاق والتفاوت، أي تلك التي تقسم النشاط الإنساني إلى ثلاث وظائف وتوافق المجالات الثلاث أي الديني والحربي والاقتصادي، وفقلا للنظرية التي وضعها الفرنسي جورج دوميزيل، منذ الانظمة الهندوأوروبية إلى الانظمة ما بعد الكولونيالية والرأسمالية المعاصرة، مروراً بالمجتمعات المالكة والكولونيالية والشيوعية والاشتراكية الديمقراطية.



المعرفة الشاملة هي وحدها التي تسمح للإنسان بإعادة النظر إلى موقعه في الكون والتصال مع الطبيعة



استنادا إلى دروس التاريخ في شموليته، يعتقد بيكيتي أن في الإمكان أن نقطع مع تلك الحتمية التي كانت سببا في الانحرافات تشاركية للقرن الحادي والعشرين، ورسم خطوط أفق مساواة جديد ذي بعد كوني، وصياغة أيديولوجيا جديدة للمساواة والملكية الاجتماعية والتربية وتقاسم المعارف والسلطات. آخر هذه الأحداث، على المستوى الفكري، صدور مذكرات الفيلسوف وعالم الاجتماع إدغار موران بعنوان "الذكريات تأتي للثاني"، لم يتبع فيها نسقا كرونولوجيا، ولا تيميا، وإنما دونها كما تتوارد الخواطر لديه. هذا الرجل الذي لم تمنعه أعوامه الثامنة والتسعون من مواصلة إلقاء المحاضرات وإثراء النقاش في المسائل الحارقة، والاستجابة لمحاورة وسائل الإعلام والكتابة بنفس العمق الذي عرفناه عليه، وكانه لم يتخلص من إهاب المثقف اليساري الذي يناضل على شتى الجبهات. فقد بدأ حياته مقاتلا في صفوف الجمهوريين خلال الحرب الإسبانية، ثم التحق بالحزب الشيوعي الفرنسي، وانسلخ منه منذ مطلع الخمسينات بعد أن تبذرت له طبيعة المنظومة الاشتراكية، وحصل السلاح ضد الاحتلال النازي، وأسس مجلة "تراغ" وأخيرا انخرط في المعركة الأيكولوجية لإيمانه بأن أكبر مشكل يواجه البشرية

الأحداث الثقافية التي حازت اهتمام الجمهور والمتابعين للشأن الثقافي في العام المنقضي كانت من نصيب الفنون التشكيلية بالدرجة الأولى، من خلال معرض عالمي عن العبقرى الفلورانس ليوناردو دا فينشي، وراند العصر الذهبي الإسباني دومينيكوس تيوتوكوبولوس الشهير بالغريكو، ومعرض توت عنخ آمون بمعهد العالم العربي؛ ثم الفن المسرحي بالدرجة الثانية عبر عروض للألماني توماس أوسترماير والبلجيكي إيفو فان هوف والفرنسية ياسمينه رضا. ولكن الساحة جلتها أحداث أخرى، فكرية وأدبية، لا تقل عنها أهمية.



أبوبكر العيادي كاتب تونسي مقيم في باريس

ومن ثم دعونا إلى إعادة اكتشاف طبيعتنا المدفونة بإعادة قراءة تاريخ البشر والعالم على ضوء الاكتشافات العلمية عن بنية الكائن الحي والكون الفيزيائي، فهي في نظره وسيلة للعودة إلى الزمن المديد الذي تستعمله السرديات الميثولوجية لتمكين الحضارات من تحديد موقعها في العالم. ولذلك اقترح بناء "سردية كبرى تجمع كل العلوم"، يهدف من ورائها إلى استكشاف تاريخ الكون وإعطاء الإنسان موقعا فيه، فلتن كان للمخ عمر الإنسان الذي يملكه، فإن عمر حمضه النووي يقدر بمليارات السنين، والذرات التي تكوّن جسمه يرجع عهدها إلى نشوء العالم. سردية كبرى تكون فيها الكتابة قد بدأت قبل الكتابة، ما دامت الطبيعة تترك هي أيضا أثارا تمكن من معرفة تطورها على مر الأزمان، وتحول الإنسان نفسه، فإذا ما استمع إليها صار شاهدا ومعاصرا تقريبا لعناصر لم يعرفها أي إنسان من قبل، كمولد الكون، أو ظهور الحياة.

ثاني تلك الأحداث الفكرية صدور الترجمة الفرنسية لكتاب "Retrotopia" أو "طوباوية الردة" للفيلسوف وعالم الاجتماع البولندي زيغوندا باومان (1925-2017) مبتكر مفهوم "المجتمع السائل"، بين فيه كيف أن الإرادة إلى الماضي بات طوباوية عصرنا هذا الذي استشرى فيه وباء النوستالجيا، فقد راج في كل مكان من الأرض تقريبا نوع من التطلع الرجعي، والرغبة في العودة إلى ماض تغلفه الأساطير في معظمه، كوسيلة مثلى لتجنب مواجهة الأسئلة الحارقة.

ويفسر باومان هذه الردة بكونها ناجمة عن العودة إلى النزعة القبلية التي تتغذى من هشاشة الدولة وتفككتها، وتزدهر بفضل التكنولوجيات الحديثة كتخل صغيرة تتنازع فيما بينها، ولا تهتم بإقناع الآخر أو جلبه إلى حظيرتها، لأنها تقوم على مبدأ التناظر بين "هم" و"نحن"، فخلقت بذلك إنسانا ذا وجهين مثل الإله يانوس في الميثولوجيا الرومانية. وفي حركة تراجع عام، بات الفرد منكفئا على ذاته، فشكل ما أسماه باومان "الإنسان السيكولوجي"، كآخر إنتاج للفردانية البورجوازية مثل موناود (كائن أحادي الخلية) مرتابة، تضع نفسها بين أيدي علماء النفس وديكتاترة "العيش السعيد".

وفي رأيه أن الفردانية المفرطة أرتد الطوباويات المشتركة إلى الحضيض، وبتنا نعيش حربا تغذيها خشية العجز التي تستبد بالأفراد المعاصرين، الذين تحزروا من الوصاية ثم بقوا معزولين. فالمستقبل، الذي كان البيئة الطبيعية للأعمال والانتظارات المشروعة، صار وعاء تلقى فيه كل المخاوف، ولا سيما الخوف من البطالة والانحدار الاجتماعي للفرد ولإبنائه من بعده، بسبب اقتصاد يقوم على المنافسة الشرسة ويضع العمل ورأس المال في يد واحدة، راميا بمن لا يملك هذا أو ذاك في درك وضيق.

ما يعيد البشر إلى الوضع الذي صوره هوبز في "ليفياتان"، حين تغدو الأرض مسرح حرب دون قسوة عليا تحد من تنافس البشر. وذلك لأن العولمة أحدثت فصلا بين القوة والسياسي، جعل الدول "أشبه بجاليات متجاوزة داخل حدود مثقوبة".

وإذا كان باومان يعتقد أن ليس أمامنا غير الأخذ بأسباب الحدثة، وتعميقها بتكملة التصور الكوسموبوليتي الذي نحن عليه بوعي كوسموبوليتي حقيقي ينظر بفضل الإنسان نظرة شاملة إلى مستقبل البشرية قاطبة، ويسعى لتحقيق حتى ما يبدو الآن من الطوباويات، فإن عالم الاقتصاد الفرنسي توما بيكيتي الذي أثار جدلا واسعاً على الصعيد الدولي بكتابه الأول "راس المال في

أول تلك الأحداث رحيل الفيلسوف ميشيل سير (1930-2019) وأضع السردية كواحد من كبار الفلاسفة في القرن العشرين.

كان يطمح إلى الإلمام بالمعرفة كلها، ويعتقد أن الفلسفة تجتذ تلك الوظيفة الإدراكية المجهولة والشاملة التي تسمح بالإحاطة بالواقع في كليته، إذ كان من الذين يدعون إلى التقريب بين العلوم والفلسفة، لأن المعرفة الشاملة هي وحدها التي تسمح للإنسان بإعادة النظر إلى موقعه في الكون والتصال مع الطبيعة. فبعد أن اقترح قراءات جديدة للميثولوجيا والتاريخ والفنون التشكيلية، وأقام جسورا بين العلوم الإنسانية والعلوم الصحيحة، اهتم بالتصورات العلمية والاستخدامات التكنولوجية وأثرها في تغيير سلوك البشر، مستندا في ذلك إلى تكوينه في الفلسفة والرياضيات.

ويعتبر مشروع الفلسفي عملا تنسيقيا بين جملة المعارف لجعل الإنسان في مركز الكون الذي نشأ فيه. فقد لاحظ في كتابه "المحتاج" أن التقاليد التاريخية والفلسفية الغربية أنتجت أصولنا الطبيعية، وأن أصنافنا الذهبية حبستنا في أفاق زمنية قصيرة نسبيا مقارنة بدورات الإنسان والحياة المديدة بشكل سرودي.



الفيلسوف إدغار موران يروي ذكرياته



توماس بيكيتي وأصول التفاوت الاجتماعي



ميشيل هوبليك وأزمة الإنسان الغربي



ميشيل سير فيلسوف سردية الإنسانية الكبرى